موجز الخدمات لأحمدبن ماجد فی علم الملاحة

الدکتور فیروز حریرچی
استاذ جامعة طهران

چکیده

ابن ماجد از مشهورترین دریانوردان اسلامی است که حدود سدهٔ قرن نهم در جلفار خلیج فارس متولد شده است. در دانش دریانوردی مهارت داشت تا جایی که به استاد و معلم و رئیس دانش دریانوردی لقب گرفته است. او دارای قصاید و ارجوزه‌های طولانی در دانش دریانوردی است و حدود ۴۶ اثر علمی از خود بیادگار گذاشته است. وی در وضع اصطلاحات دریانوردی به زبان عربی مهارت داشته و از این حیث زبان عربی را تقویت کرده است. این دریانورد در اغلب آثار خود واژه‌هایی از فارسی وام گرفته و آنها را بصورت معرب بکار برده است مانند رهنامج(رهنامه) زنج(زنگ)بندر و شاهبندر. وی نخستین کسی است که ابرهای بزرگ و کوچک جنوبی را که اروپائیها آنرا ابرهای ماژالان می‌نامند بطور دقیق وصف کرده است.

*****

لمّاینعم النظر الباحث المحقق فی تاریخ الحضارة البشریة لیطلع علی ما خلّفه نوابغ العلم من الاختراعات و الاکتشافات و غیرها ممایرتبط بالارتقاءالعلمی خلال الاجیال و العصور فیواجه أنّ الحضارة الاسلامیة فی عصورها الذهبیة قدانجبت جمّاغفیرا"من العلماءالذین لایُعدون فخارا"و اعتزازا"للمسلمین فحسب بل انهم بماقدّ موامن الخدمات العظیمة یعتبرون مفاخر لرکب الحضارةالاسلامیة و الانسانیة فبذلک أن کل مایکتب عن عالم اسلامی فی فرع من الفروع العلمیة خیر بناءلصرح الحضارةالانسانیة و تشییده بهندسة تحیی التراث الاسلامی و تکون احسن

اسوةيتبعها جيل الشبات المسلمين الذين سيقومون ما تيسرلهم بازدياد الخدمات العلمية الى العالم الانسانى الذى يحتاج فى كل لحظةالى الارتقاءو النشوءالعلمى الذى يخرج الانسان من الظلمات الى النور. ومن النوابغ الافذاذ فهو احمد بن ما جدبن عمر بن فضل ابن ابى الركائب[۱] الذى ابقى الاراجيز العلمية فى اصول البحار و نظّر علم الملاحةالاسلامية و طبق علم الهياةفيه ان هذا بطل البحر و رّبان الربابنة كما ورد فى اراجيزه العديدة ملّقب بالالقاب العديدة التى يدل كل و احدمنها على ان له مهارة فائقة و يد اطولى فى علم الملاحة و لايعادله فى تاريخ الملاحة الاسلامية الا ابن فاطمة المغربى الذى عاش فى القرن السادس الهجرى و اقترن اسمه بالتطواف حول افريقية عن الطريق الغربيةاى المحيط الاطلسى و بالوصل الى جزيرة القمر يعنى مد غشقر قبل ان يقوم البر تغاليون بهذاالدوران بثلاثة قرون.

ان الالقاب التى تلقب بها ابن ماجد تنم عن شخصيته الفذةالعلمية و تكشف انه بذل ماكان لديه من الجهد اثناء حياته البنّاءة ليحدث تطوراً جذريا فى علم الملاحة ويدوّن اصوله بما ينطبق على آخر المعلومات فى عصره و لكن قبل ان اشير الى بعض القابه العلميةانجلاء عن الخدمات البحرية فألفت نظر الباحثين انه جمع الدين و العلم مما جعله يفكر الفكرة العلمية الجلية التى ادت الى از دهاره العلمى فى علم الملاحة.انه ذكر نفسه فى اراجيزه بلقب الشهاب[۲] او شهاب الدين[۳]او شهاب الحق[۴] او حاج الحرمين الشريفين[۵] فجديرلارض جلفار ان تعتز وتزهوبهذاالنابغة العلامة الذى وصف نفسه أوصافَه الجميلة فى قصيدته " البليغة فى قياس سهيل والرامح ء"[۶]

رعى اللّه جلفارَ ومن قدنشابها ... وأَسقَى ثراهاوامقامتتابع
بهامنِ أُسودِ البحركّل مجّرب ... وفارس بحر" للشدائد بارعٌ
يسّرك فى الاوصاف اِن وُصفت له ... حذور جسورفى المهمات شاجع
اذاقام فى شى ء يرجّى كمالُه ... يقوم ولم يمنعه عن ذاك مانع

اما القاب ابن ماجد العلمية فهى كثيرة ويستخلص من كل واحد منهاان كل لقب من هذه الالقاب لم يجرعليه باطلاوعبثا" على المجاملة والجزاف غيرانه اذا دُرس ماأبقاه من المولفات والاثار دراسة عميقة فينكشف ان ابن ماجد كماقال نفسه رابع الليوث الثلاثة[٧] اوخلف الليوث[٨]، امالقب رابع الليوث الثلاثه فهويحتاج الى وضوح اكثروجلاء اوفى حتى يتضح لناماقام به ابن ماجدمن المجهودات العلمية فى علم الملاحة اذأنّ هذااللقب الذى اطلقه عليه ابن ماجديثبت عمله العلمى الفنى الذى لم يسبقه احد قبله فالغرض من الثلاثة محمدبن شادان وسهل بن ابان وليث بن كهلان[٩] من هم رجال‌المشهورين وعلى قوله ثلاثةأحبارفى الملاحةالاسلامية فانابن ماجد يذكرهم المشايخ الثلاثة المتقدمين[١٠] ولايعتبرهم ربابين اومعّلمين و يستدل ابن‌ماجد فى قوله هذاعلى انهم لم يركبواالبحرالامن سيراف الى برمكران[١١] وكل مافعلوه هوانهم جمعوارهنامجانثرياً جمعاونقلوه من اهل كل برفيمايختص ببحرهم ولم يجربواماأخذوه عن غيرهم ولا تحققوامن صحته ويضفى‌ابن‌ماجد على قوله مانأتى‌بنّصه:« أناألفت واخترعت وفعلت وعملت وجربت وصححت و هديت به المسافرين وتصنيفناخيرمن تصانيفهم وعلمناخيرمن علمهم وجللنا قدرهم رحمةالله عليهم بقولى رابع الثلاثة و ربما فى العلم الذى اخترعناه فى البحر ورقة واحدةتقوم فى الصحة والبلاغة والفاعده والهداية والدلالةباكثرمما صنفوه[١٢]"

ومماتلقب به ابن‌ماجد فهوالرئيس‌المقدم اورئيس علم البحر اواستاذ فن‌البحرفان الرئيس المقدم ماذكره ابن ماجد فى المخمسة الاولى من قصيدته " المخمسّة " ولايخفى على احد لابدان يطلق الرئيس المقدم على من سيطرته فى علم الملاحة تفوق كل سلطة علمية " يضاهيهاقدرةاى ربان آخر.

ومن القابه العلمية التى تدل على ابن ماجد احدث تطورا" عظيمافى علم الملاحة لقب العلم اوالمعلم اسد البحر الزخارفان لقب المعلم جاء فى مقدمة ارجوزته " تصنيف قبلة الاسلام " وارجوزته " المعربة التى عربّت الخليج البربرى

وصححت قیاسه " و یستنبط من اسدالبحر الزخاران ابن ماجدالمعلم الذی اقتحم اسفار البحربکل بطوطة وتحمل ماکان من الاهوال والمخاوف فی الاسفارالبحریة التی یحتاج کل واحد منهامعرفة علم الملاحة معرفة دقیقة ومن القاب ابن ماجد العلمیة یثبت استعماله المبتکرللاجهزة البحریة لقُب ربان الجهازین الذی جاء فی‌البیت العاشرمن فصیدتة " الفائقة فی قیاس الضفدع الإول وقیّده سهیل"والمراد بالجهازین آلة الیدای خشبات القیاس بالا صابع والاسطرلاب فی القیاس بالدرجات.

بعدان اتضح لنابعض ماقام به ابن ماجد من الخدمات فی علم الملاحة ینبغی لی ان اشیرالی ان ابن ماجد قدم خدمة للغة العربیة لانراهاعنداحدمن علماء الملاحة وهی أنه ابدع الاراجیز التعلیمیة فی علم الملاحة بعبارة اخری انه اول من دون فن الملاحة بلغة عربیة فصحی واتی فیهابکثیر من المصطلحات الحدثیة التی اغنت اللغة العربیة فی علم الملاحة و اثبتت ان للغة العربیة قدرة عظیمة فی التعبیرعن العلوم والمعارف حسب ماتقتضیه الحضارة الحدیثة ولابدان یذکر ان‌اسلوبه الشعری والنثری یتسم بالدقة والابتعادعن الاطناب و تکثیف الحقائق العلمیة کمااشار ابن ماجدالی هذا الامر فی حاویته فی البیتین ۷۴و ۷۵ من فصلهاالحادی عشر.(۱۳)

فَلَوأردتَ طویَل کُلِّ فَنٍ لم تُطقِ النّساخُ تَنسَخ عَنّی

قصدی الأُصولُ فی علوم البحر لاقصدی الهرجُ وکثُرالشعر

ومایجد رذکره من حیث الادب ان نثرابن ماجد فی علم الملاحة یجمع قضایا صعبة ویعیب شعره بعض الرکاکة فی الالفاظ والاوزان واستمراره فی استعمال الجوازات الشعریة المستقبحة اوغیرالموجودة فی الاوزان العربیة کماانه ارتکب بعض الاخطاء النحویة التی خفضت عن فصاحته اللغویة کماانه اعترف بماوقع من العیب فی شعره فی البلیغة وضریبة الضرائب.(۱۴)

ومابقی حتی الان غامضا ولم ینکشف انکشافا" دقیقا" فهواستعمال بعض الکلمات الفارسیة فی آثاره ومولقاتة مثل رهنامج والزنج والبندر

والشاهبندرولايدرى من هذه الالفاظ الفارسية هل كان ابن ماجد يتقن الفارسية ام لاغيران استعمال هذه اللغات وتكرارهافى آثار ابن ماجديدل على انه كان يتجول جولات بحرية فى الخليج الفارسى وكانت له علاقة واسعة بربابنة الفرس مماجعله ان يستعمل الالفاظ الفارسية فى علم الملاحة كمااشارالى هذه النكتة المستشرق غبرييل فران ولعل الدراسات التحليلية العميقة فىالمستقبل تزيح الحجاب والابهام عن هذاالغموص(١٥).

امااعمال ابن ماجد الملاحية فهى تتميزبوحدة موضوع فانه عمل نيفا" ونصف قرن فى الملاحة فى المحيط الهندى وبحاره وكتب اثناء احدى واربعين سنة، ستة واربعين عملالم يولف فيهابل صنف ولم يسلك مسلك الاقدمين وابدع فيماكتبه ولم يقّلد احدا" ومنهجه فى تدوين آثاره يرنكزكماقال العلامة ابراهيم خورى على ثلاثة محاورلايتجاوزعتهاويراعيهاابن ماجد مراعاة دقيقه هى: اصطفاء صحيح القديم واختراع الاصول السليمة واختيارالتليد المختاروالطريف المبتكر.(١٦)

اماخدمات ابن ماجد فى علم الملاحة فتتلخص فيمايلى: لماكان ابن ماجد يعرف المعارف الفلكية معرفة واسعة فانه طبق علم الهياةفى الملاحةبحيث هذاالتطبيق يستفادمنه عند علماءالملاحة حتى الآن وهوالذى ذكراسماءالكواكب العربية والمنقولةعن اليونانية وبعض اسماءالكواكب الفارسيةوابتكر فى قياس ارتفاعنجوم الهداية بآلةاليداوبالاسطرلاب بتلكالدقة التى اثارت اعجاب الذين قاموابالمقارنة بين نتائجهاو النتائج و القياسات الحديثةمن المستشرقين المعاصرين وان هذاالتوفيق الذى احرزه ابن ماجد لم يتحقق له الاانه اعتمد مبدأالتجربةوتكرار القياس وهواول من وصف السحائب الكبرى والصغرى الجنوبية يسميها الاروبيون سحائب ما جلان وعلاوة على هذهفان ابن ماجد بمعلوماته الواسعة فى علمالجغرافيا له آراء بديعةفى البحرو تفسير هبوب الرياح والمدوالجزرواقوال مثمرة فىالدين والتاريخ والانساب والانواء مما يجعل ابن ماجدروائدالربابنة وزعيم

المولفین والمصنفین فی علم الملاحة و خلاصةالقول انه سبق الاروبیین فی تعرفهم علی بحر الهند من اقصاه الی اقصاه وهوالذی وضع نظریات غیرت رؤیةالجغرافیین القدامی الی هذاالمحیط و عبرت عن علل هبوب الریاح‌المحلیة والمدوالجزر فی الخلیج الفارسی والبحر الاحمروبحرالعرب فاولی لجلفاربان تعتزونقتحز بابنه‌الربان زعیم‌الملاحة ویقوم ابناءالمسلمین من‌العرب وغیرم بدراسات قیمة علمیة تکشف عن جوانب آثاره‌الغامضة.

المصادر

۱-ارجوزة((الهادیة))البیت ۱۵۴

۲- حاویةالاختصارفی اصول علم البحار

۳-ارجوزة " تصنیف قبلةالاسلام "البیت ۱۸۸

۴- قصیدة "میمیة الابدال " البیّت ۲۴

۵-کتاب الفوائد فی اصول علم البحر والقواعد نسخة باریس الورقه اً - س ۱۴

۶- قصیدة " البلیغة فی قیاس سهیل والرامح " الابیات ۴۹ - ۵۲

۷- البیت الثانی من قصیدته " البلیغة فی قیاس سهیل والرامح "

۸- تصدیر ارجوزة ابن‌ماجد "برالعرب‌فی‌خلیج‌فارس" وتصدیر قصیدة ابن‌ماجد "المکیة"

۹-کتاب الفوائد فی اصول علم البحر والقواعد ص ۱۴

۱۰- نفس المرجع ص ۱۶۱

۱۱- نفس المرجع ص ۲-۳

۱۲- نفس المرجع ص ۱۲۹

۱۳- الحاویة :البیت ۷۴ و ۷۵

۱۴- البلیغة،البیت ۵۳ و ۵۴ وضریبة انّصرائب، البیت ۱۸۸و ۱۸۹

۱۵- احمدبن ماجدابراهیم خوری - ص ۱۳۳

۱۶- نفس المصدر ص ۷۶